دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التوزيع البيئى للإسكان بين الأنماط والأشكال الإستيطانية
المصدر:	مجلة الآداب والعلوم
الناشر:	جامعة المرج
المؤلف الرئيسي:	العانى، محمد جاسم محمد شعبان
المجلد/العدد:	ع7
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2003
الصفحات:	111 - 158
رقم MD:	837784
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase, IslamicInfo, HumanIndex
مواضيع:	التوزيع السكانى، الجغرافية العمرانية، التخطيط العمرانى، المجتمعات البشرية، البيئات الاستيطانية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/837784

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التوزيع البيني للإسكان بين الأنماط والأشكال الإستيطانية

□ د. محمد جاسم محمد شعبان العاني

كلية الآداب قسم الإجتماع – جامعة المرج

التوزيع البيئي للإسكان بين الأنماط والأشكال الإستيطانية

مقدمة:

تتميز الظواهر المكانية دوناً عن سواها بأن وجودها يخضع دائماً لحالة من الانتشار الـــذي يدفع إن عاجلاً أم آجلاً إلى إحلال أنماط متميزة لعناصرها تؤدي إلى تكوين أشكال واضحـــة تعبر عنها الظاهرة نفسها في المكان.ولعل هذا المنطق ما يميز الظاهرة الإسكانية في مختلف البيئـــة الاستيطانية التي تنتشر فيها سواء كانت بيئة ريفية أم حضرية إذ ما أن تنتشر المساكن في الريـــف سواء كانت. مساكن منفردة في المزرعة أو تجمعات سكنية عند حافة المزارع أو أقـــرب طريـــق مار بها حتى تبدأ هذه المساكن بتكوين نمطاً انتشارياً خاصاً بها يتكامل مع باقي الأنماط الأخـــرى لتكون شكل الظاهرة الاستيطانية المستقرة المعبر عنها بشكل القرية. ومثل ذلك الكـــلام يصـــح على مستوى المدينة أو أي قطاع فيها فما أن تبدأ الأحياء السكنية المتميزة فيها بالظهور جـــراء واقع استشاري للمساكن سواء من مركز المدينة أو مناطقها الأخـــرى وصـــولاً إلى ضواحيـــها وأطرافها الحضرية لاحقاً حتى يشكل هذا النموذج لانتشار المساكن فيما بعد نمطاً متميز علـــى شكل بيوت مستطيلة يبدأ بعد المنطقة المركزية أو نمطاً من إسكان العمودي أو نمطاً من الســـكن الراقي المعبر عنها بالدور المستقلة (الفلل) وغالباً ما تتوفر جميع هذه الأنماط الإسكانية إلى جـــانب الاستعمالات الحضرية الأخرى. وعلى هذا الأساس يمكن الحكم بأن دراسة الظاهرة الإســـكانية شطريها الذاتي والموضوعي لابد أن يبدأ بتمييز هذه الحالة التي تبدأ بالانتشـــار Distribution وإن اختلفت أنواعه ثم الأنماط Patterns تقود إلى مختلف الأشـــكال Forms للمســـتوطنات البشرية.

هدف البحث:

بالرغم من هذه الحقيقة التي تخضع لها الظاهرة السكنية بشكل متميز عن بـــاقي الظواهـــر المكانية الأخرى إلا أن كثير من الدراسات الجغرافية وحتى التخطيطية للظاهرة السكنية يســـودها

نوعاً من التشابك بين مفهوم (الأنماط والأشكال) فتجد بعض الدارسين في جغرافية الإسكان أو جغرافية العمران لا يعطون المسمى الصحيح لحالة النمط أو حالة الانتشار بل يجري استخدام هذه المصطلحات بشكل متبادل تارة للنمط بعينه فرصة المتابعة لهذه الجوانب خاصة عندما تجوي وفق معايير حساسة تتطلب متابعة للحالة على صعيد الانتشار أو النمط أو الشكل.

لذا يأتي هذا البحث هادفاً إلى تشخيص جميع حالات الانتشار والتنميط- والأشكال التي قد توجد جميع حالاتها في مستوطنة معينة (قرية أو مدينة على الأغلب) وقد يتواجد بعض منها خاصة عندما تجري دراسات تطبيقية لتشخيص انتشار المساكن وأنماطها وأشكال القرى والمدن التي تشكلها الأنماط السكنية الناتجة من الانتشار أو التوزيع المعين للمساكن فيها وإذا يتطرق البحث بشكل نظري إلى جميع التوزيعات والأنماط والأشكال الإسكانية أنما ليترك الباحث أو الدارس أمام أي من الحالات التي يمكن أن يجدها في دراسته التطبيقية على صعيد أي من المستقرات البشرية.

التوزيع البيئي للإسكان

المجتمعات البشرية والبيئة الاستيطانية

ظهرت دراسة المستويات الحضارية الخاصة بالتجمعات البشرية وجود نمطين لهذه المستويات هي:

أ. النمط الريفي **RURAL Pattern.**

ب. النمط الحضري **URBAN Pattern.**

وأكدت أن لكل منهما عناصره السكانية (الاجتماعية) والوظيفية (الاقتصادية) والعمرانية (الأنماط الاستيطانية في البيئة الحضرية والريفية) ولذلك انصبت الدراسات الحضارية لدراسة هاتين الظاهرتين فخلصت إلى أن:

الظاهرة الريفية **Ruralizm** التي هي نمط من الحياة على نطاق واسع من الأرض يتكامل فيها نشاط السكان مع طبيعة حياتهم ويشكل وجودها انتشاراً حضارياً ملموساً. وصار الريف Rural يعني اصطلاح حضاري شامل يعتني بنمط من الحياة تشمل الأرض والسكان والعلاقات القائمة بين السكان وعناصر البيئة.

أما الظاهرة الحضرية **Urbanizm** فهو نمط من الحياة للسكان يشكل وجودهم تركزاً حضارياً على نطاق محدود ومميز من الأرض ولهم نشاطهم ومساكنهم الخاصة في تلك البيئة التي تعرف بالبيئة الحضرية.

وبالرغم من إجراء للعديد من الدراسات التي أوضحت الفرق بين الريف والحضر إلا أن الصعوبات ظلت تكتشف عدم القدرة الكاملة على إظهار الفرق بين تلك البيئتين بشكل قاطع حيث لا يوجد انتقال مفاجئ بين أحدهما إلى الآخر في أي إقليم أو مكان، بل توجد استمرارية بينهما فالمستويات الحضارية لحياة مجموعة من البشر داخل المجتمع الواحد تتباين كما تتباين بين المجتمعات، حيث يعبر المستوى الحضاري عن أحد صور العلاقة بين الإنسان وبيئته أو طرقه ووسائل اتصال الإنسان ببيئته، ومع لك استطاعت الدراسات الجغرافية المعمقة أن تميز بين هذين النمطين من الحياة ووضحت تلك الفروق التي تميز البيئة الحضرية والريفية وجعلتها على ثلاث مستويات من الفروق هي:

أولاً: فروقات مكانية (للبيئة الاستيطانية) حيث:

أ. أن المظهر العام (الشكلي) للأرض الريفية ذي طبيعة توضح أن غالبيتها مخصص للاستخدام الزراعي فيما تتنوع الاستخدامات في الأرض الحضرية كما تعكسها مورفولوجية المدينة.

ب. أن للمجتمعات الريفية نمط من الاستيطان تشكل القرية الزراعية Farm villageوتفرعاها أوضح أشكاله فيما تبقى المدينة أو المراكز الحضرية هي الشكل الوحيد للاستيطان الحضري وفي كل منها أنماطاً من العمران وأنواعاً من المساكن.

ت. أن الكثافات السكانية والإسكانية في المجتمعات الريفية أقل منها في المدن وباقي مراكز الاستيطان الحضري.

ثانياً: فروقات سكانية (اجتماعية) ترى:

أ. أن المجتمعات الريفية في أي بيئة للاستيطان الريفي أصغر حجماً من أي تجمع بشري في المدينة أو المراكز الحضرية الأخرى.

ب. أن سكان المجتمعات الريفية أكثر تجانساً في الصفات الاجتماعية من سكان المدن رغم وجود الاختلافات في المعتقدات والسلوك والتقاليد بين المجتمعات الريفية ولذا يتسم مجتمع القرية بالثبات لأنه أقل قابلية للحراك الاجتماعي واستيعاب التغيرات على عكس المدينة ذات المجتمع المتحرك.

ت. أن الفوارق الطبقية أقل وضوحاً في الريف عنها في المدن.

ث. أن مجتمع الريف أدنى مرتبة من مجتمع المدينة وأقل درجة في الرقي والتمدن.

ثالثاً: فروقات وظيفية (اقتصادية) ترى:

أ. أن غالبية السكان الريفي يعمل في الأرض- أي يمتهن حرفة الزراعة (ويقوم بإنتاج الغذاء) فيما يحترف سكان المدن الأنشطة الخدمية على الأغلب (ويقوم باستهلاك الغذاء).

ب. أن التعاون والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية أكثر قوة في الريف عنها في المدن.

ت. تتميز البيئة الحضرية بأنها تضم أنشطة واستعمالات أرض أكثر من بيئة الريف لذا يرى مورفولوجية المدينة أكثر حراكاً واستيعاباً للتغيرات الاقتصادية وبالتالي الاجتماعية فيما تبقى الوظيفة السائدة للريف هي الزراعة حتى وإن دخلت استعمالات لغير الزراعة في القرية للأغراض الخدمية أو الاجتماعية.

وعلى أساس هذه الفروقات صار هناك فرعان من الجغرافيا البشرية أحدهما لدراسة الظاهرة الريفية التي تعرف اليوم بالجغرافية الريفية Rural Geography والثانية تعرف بالجغرافية الحضرية أو جغرافية المدن Urban Geography اللذان يشكلان معاً الجغرافية الحضارية الاجتماعية حيث أن:

جغرافية الريف: أحد فروع الجغرافية البشرية التي تهتم بدراسة الريف عبر عنصرية (المنظر) وهو المظهر المادي والرئيسي للمكان و (المزرعة) وهي التي تحدد الإنتاج والاستهلاك وتعتبر الوحدة الأساسية للملكية الزراعية[1].

وقد تعرف جغرافية الريف بشكل آخر على أنها علم دراسات التغيرات الحديثة الاجتماعية والاقتصادية واستخدام الأرض- أو علم دراسة التغيرات المكانية التي حدثت في المناطق الأقل كثافة في العمران[2].

أما جغرافية الحضر: فتعرف على أنها أحد فروع الجغرافية البشرية التي تهتم بدراسة المظاهر الوظيفية (الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية) للمدينة ضمن إطارها الإقليمي وكذلك مظاهر المدينة المورفولوجية أي المظهر الخارجي للمدينة المتضمن خطة المدينة واستعمالات الأرض فيها وأنماط المدينة العمرانية. وفي كلا الجغرافتين- الريفية والحضرية – تبرز مشاكل العمران والسكن في المستوطنات كأحد المواضيع في الجغرافية التي عرفت بـ Geography of Settlement جغرافية الاستيطان التي صارت تهتم بدراسات الإسكان في البيئتين الريفية والحضرية وفق الأسس العلمية التي ترى بأن التوزيع البيئي للإسكان يدرس من خلال:

---

(1) كما عرفتها جاكلين بوتمار.

(2) وهذا التعريف عند كلادت.

أولاً: دراسة أشكال الاستيطان من كل بيئة The forms of Settlemnt .

ثانياً: دراسة أنماط الاستيطان وتوزيع المنازل أو الإسكان في كـــل بيئـــة settlement pattern & the housing Distritution.

ثالثاً: دراسة أنواع المنازل في كل من البيئة الريفية والحضرية من حيث (بنائها- تصاميمـــها- مواد بناؤها) Housing varaity.

وهذا ما سنتطرق إليه لاحقاً بالتفصيل.

التوزيع المكاني للاستيطان الريفي

إذا كانت دراسات التوزيع البيئي للإسكان أظهرت وجود بيئتين مكانيتين للاستيطان هما بيئة الاستيطان الريفي، وبيئة الاستيطان الحضري فإن البدء سيكون لدراسة التوزيع المكاني لأشكال وأنماط الاستيطان الريفي وأنواع المنازل في توزيعاته المكانية يعد تعريف الريف كبيئة ومجتمع.

فالريف في معاجم اللغة العربية هو الخصب والسعة في المكان، وهو الأرض التي فيها زرع وماء، ولذلك فإن تعريف الريف كبيئة مكانية يعني ذلك المكان الذي يعيش فيه أشخاص يعملون في مجالي الزراعة والرعي. ومن هنا فإن المجتمع الريفي هو ذلك المجتمع الذي يعمل سكانه في إنتاج الطعام وله علاقات تختلف عن تلك السائدة في المجتمع الحضري من حيث الطبيعة والخصائص[3] وعلى هذا الأساس فالريف يشمل الأرض والسكان والعمران في تلك الأرض والعلاقات القائمة بين السكان وعناصر البيئة والتي يعيشونها. بعبارة أخرى أن للريف ثلاث معانٍ هي:

---

(3) Micheal .P Rural Geography London 1984.

معنى ايكولوجي مكاني: يتصل بالبيئة ومكان الإقامة وشكلها وما يصحبه من متغيرات.

معنى حرفي (اقتصادي): يشير إلى اشتغال السكان بالعمل الزراعي.

معنى اجتماعي: يتعلق بالاتجاهات والسلوك في المجتمع الريفي.

ولذا أظهر الريف على أنه: البيئة الجغرافية للمحلات العمرانية ذات السمات السكانية والاقتصادية والاجتماعية التي تختلف عن البيئة الحضرية.

وحيث أن ما يهمنا هنا دراسة التوزيع المكاني للإسكان في الريف ولذلك ستتم تلك الدراسة من خلال تناول الآتي:

أولا: أشكال الاستيطان الريفي.

ثانيا: العمران الريفي ودراسة أنماط الإسكان الريفي (توزيع المساكن).

ثالثا: أنواع المسكن الريفي (أنواع المنازل الريفية).

أولا: أشكال الاستيطان الريفي:

نقصد بالاستيطان الريفي ذلك المظهر أو الشكل الاستقراري للمجتمعات الريفية، وهو أحد العناصر الأساسية في تكوين الظاهرة الريفية[4] بل ويشكل المعنى الأيكولوجي لها لاتصاله الوثيق بالبيئة الريفية حيث أنه مكان الإقامة بها وما يصاحبه من متغيرات تضفي شخصيتها على ذلك المكان. ولذلك كان الاستيطان الريفي أحد مظاهر الاستقرار البشري بل وأول تلك المظاهر بعد أن غادر الإنسان حياة المغارة والكهوف ومعيشته على الصيد والالتقاط وأصبح يتجمع في مكان واحد يتخذ فيها الحقول ليمارس الزراعة وتربية الحيوان بعد أن بنى منازله قرب تلك الحقول فكانت تلك التجمعات باكورة لتكوين القرية الزراعية الأولى التي تطورت أشكالها

[4] هناك ثلاث عناصر تشترك في تكون الظاهرة الريفية هي المكان - الحرفة - السلوك.

وأنماط حياتها وتنوعت منازلها عبر مسيرتها الحضارية في بقاع مختلفة من العالم وقد لعبت عوامل كثيرة في تكوين تلك القرى منها عوامل طبيعية وأخرى بشرية ومنها ما يتعلق بظروف حيازة الأرض الزراعية وإحجام ملكيتها ولذلك تهدف دراسة الاستيطان الريفي في أحد جوانبها إلى الربط بين المؤشرات الطبيعية والبشرية لموقع ما واختيار مثل تلك المواقع لبناء المستوطنات وحجم سكانها وما يرتبط بذلك من مظاهر اقتصادية واجتماعية متباينة وكذلك توزيعها الجغرافي وعلاقتها بما يجاورها من المستوطنات.

إذ إن الاستيطان الريفي يعكس علاقة الإنسان ببيئته بشكل طبيعي حيث تؤدي عوامل البيئة وظيفة كبيرة في التوزيع الجغرافي للمستوطنات الريفية وشكل الاستيطان فيها وتنوع المنازل من حيث مواد المواد المستعملة ونمط البناء وتخطيط المستوطنة وتقييم الوحدات السكنية.

ومن خلال دراسة المستوطنات الريفية وأشكالها وأنماطها وتنظيماتها يمكن معرفة درجة ونوع استثمار الإنسان للمناطق المحيطة رغم أن الاستيطان الريفي نواة التجمعات البشرية البسيطة من حيث الحجم السكاني ونوع الخدمات وبساطة الحياة والاتجاه في أغلب الأحيان إلى مهنة واحدة وهي الزراعة. مع ذلك تعتبر المستوطنة مظهراً أساسياً لهذا التجمع ويمكن تعريف المستوطنات الريفية بأنها:

مكان لتجمع سكني يقع خارج الحدود البلدية للمراكز الإدارية ويغلب عليها النشاط الاقتصادي الأحادي ذو الطبيعة الزراعية.

أو المنطقة التي يشتغل سكانها بالزراعة ويدخل ضمن هذه المناطق المستوطنات التي تعمى بتربية الحيوانات والماشية وفي كل الأحوال فإن القرية هي المظهر الريفي للاستيطان كونها حوت تعريفة الكامل حيث تعرف القرية على أنها: مستقر بشري لسكان يزاولون عملاً رئيسياً هو الزراعة حيث يمكن أن تكون مكان مستقطع من أرض زراعية عندما يزاول سكانها الزراعة وقد تكون أرض مستقطعة من الصحراء عندما يزاول السكان الرعي والزراعة أو جزء من سطح

مائي (جزيرة) عندما يزاول سكانها بعض الصناعات الجلدية التي تعتمد على صيد الحيوانات والأسماك إضافة إلى الزراعة والرعي. وهذا يعني أن القرية يمكن أن تكون على أشكال تتظافر على تشكيلة مجموعة من العوامل يمكن التعرف عليها من خلال أشكال الاستيطان نفسها:

أشكال الاستيطان وتوزيع المنازل في البيئة الريفية

إن أهم أشكال الاستيطان تتمثل في المزرعة المنفردة والقرية عبر الطريق والقرية الخصبة والقرية المتجمعة ويتفرع من هذه الأشكال عدد من الأشكال الأخرى وتتأثر أشكال الاستيطان الريفي بعدة عوامل من أهمها حجم الملكيات الزراعية وظروف الحيازة الزراعية كما تتأثر بالعوامل الجغرافية والطبيعية وفيما يلي استعراض الريفي:

1. المزرعة المنفردة Single Farmstead :

في هذا الشكل يبني المزارع منزله على أرض مزرعته نفسها ويكون حول المنزل عادة أي منشآت التي يحتاج إليها كالمخازن والحظائر وبيوت العمال المساعدين وينتشر هذا الشكل من أشكال الاستيطان في البلاد التي تكون مساحات الملكية الزراعية بها كبيرة. وهذا الشكل أقرب ما يكون في ريفنا العربي بالعزبة أو الضيعة حيث تجد بها منزل المالك ومنشآت المزرعة ومنازل العمال مقامة على أرض المالك نفسه. **ومن مميزات هذا الشكل من أشكال الاستيطان:**

أ . أن المزارع يعيش في وسط مزرعته بحيث يواليها بأشرافه بشكل دائم ومباشر.

ب. نظراً لأن منشآت المزرعة موجودة على أرضها فإن مصاريف النقل نقل في هذا الشكل بدرجة كبيرة.

أما عيوب المزرعة المنفردة:

أ. العزلة فسكان المزرعة المنفردة يعانون من عزلتهم وبعدهم عن الاجتماع بالآخرين.

ب. ارتفاع نفقات المرافق مثل الكهرباء والمياه حيث يتكفل صاحب المزرعة وحده بجمع تكاليف الإنشاء والإدارة والصيانة.

ت. ارتفاع نفقات الخدمات العامة حيث تواجه الحكومات صعوبة كبيرة في نشر الخدمات العامة لتباعد المساكن والناس عن بعضهم لمسافات طويلة.

2. القرية عبر الطريق Cross Road Village :

وهي محاولة للاحتفاظ بمزايا المزرعة المنفردة مع الإقلال من عيوبها ففي هذا الشكل يعمد المزارعون إلى بناء منازلهم ومنشآتهم على أرضهم في المكان الذي تلتقي فيه أملاكهم غيرهم من الجيران فيتجمع بذلك عدد من المنازل في مجتمع متقارب وهذا بلا شك من الشعور بالعزلة ويقلل من الشعور من نفقات المحافظة على أمن ومن نفقات إدخال بعض التسهيلات المترلية كالكهرباء والماء في منازلهم في حالة اشتراكهم في إقامتها.

3. القرية الخطية Line Village :

يعتبر هذا الشكل من أقدم أشكال الاستيطان حيث كانت القرية تبني على طول طريق مواصلات هام كطريق قوافل أو على ضفاف الأنهار مثلاً.. فتأخذ شكلاً خطياً وعاد هذا الشكل إلى الظهور حديثاً بعد انتشار طرق المواصلات الحديثة ويعمد معظم المزارعين إلى الاستفادة من السيارات المارة في هذه الطرق بتوفير بعض الخدمات لهل كإنشاء محطات البترين والمطاعم وأحياناً أماكن للنوم لتكون مورداً جانبياً للمزارع يزيد من دخله.

4. القرية المجتمعة Village :

في هذا الشكل يعيش الناس في منازل متجاورة في قريتهم ويخرجون من القرية صباحاً ليذهبوا إلى حقولهم للعمل ويعودوا مساءً بمعنى آخر فالقرية مكان للسكن يبعد عن الحقول. ومن مميزات الشكل الاستيطاني:

أ. التمتع بالحياة الاجتماعية والاتصال بالآخرين.

ب. انخفاض تكاليف التسهيلات المترلية كإنشاء المرافق العامة كالماء والإضاءة.

ت. انخفاض تكاليف تقدي الخدمات العامة كالمدارس والمستشفيات والمحافظة على الأمن.

أما عيوبها:

أ. يبعد المزارع عن مزرعته مما لا يتيح له الإشراف عليها.

ب. ارتفاع تكاليف النقل لبعد المزرعة عن المنشآت والمخازن والخدمات.

العوامل المؤثرة في الاستيطان الريفي

توجد العديد من العوامل التي لها التأثير الواضح في الاستيطان الريفي وحياة السكان الريفيين والنشاطات الاقتصادية التي يمارسونها ومنها:

1. المصادر المائية:

أن الكثير من القرى والأرياف قد نشأت وتطورت بالقرب من مصادر المياه لما للماء من أهمية كبيرة للإنسان لاستعمالها في أغراض متعددة، كالزراعة والري وتربية الحيوان وإلى غير ذلك، لا فالماء يشجع الإنسان أن يختار مكاناً ملائم بالقرب من الينابيع والعيون والأنهار والبحيرات. وقد تستعمل مصادر المياه لأغراض أخرى متعددة غير الزراعة والري مثل صيد الأسماك، لذا فالمستوطنات تنشأ بالقرب من موارد المياه لأنها تعد مكاناً ملائماً لاستقرار الإنسان وبناء الدور السكنية فيها.

2. الأرض الصالحة للزراعة:

تساعد الأراضي الخصبة على جذب عدد كبير من الناس للاستقرار بالقرب منها ولذا ظهرت العديد من المستوطنات البشرية عليها وبذلك تعتبر هذه الأراضي عاملاً مهماً في تحديد

موقع المستوطنات وكثافة سكانها.

3. موضع ونمط وتوزيع المستوطنات:

أن أهمية الموضع تتجلى في كونه ملائماً لاستقرار الإنسان ومزاولة نشاطه. والموضع هو المساحة التي تشغلها المستوطنة. فالمواضع الجافة البعيدة عن خطر الفيضان هي التي تحب الناس لاختيار مكان لقريتهم كما يحاولون الابتعاد عن مصادر الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين وفي مناطق المستنقعات والأهوار والجزر يصطفى الإنسان مواضع مرتفعة تحسباً لأخطار الفيضان وزيادة المياه.

ومن اختيار الموضع نلاحظ العلاقة بين المسكن والمجموعة من المساكن المحيطة به والبيئة الطبيعية التي تشيد فيها فيكون الموضع جزءاً من منحدر أو رابية صغيرة أو أراضي قليلة التموج في مكان قريب من الينابيع، كل ذلك يجعل من المكان أكثر صلاحية للسكن.

4. مواد البناء:

أن إمكانية الحصول على مواد البناء كالأحجار والأخشاب والقصب والبردي والأعشاب والأحراش تعتبر عنصر مهم لجعل الإنسان يستقر في منطقة معينة ويبني لنفسه مستوطنة، إذ أن الإنسان دائماً يبني بالمواد المتوفرة، فالأخشاب تمثل مادة البناء الرئيسية في المناطق التي تنمو فيها الغابات الكثيفة والقصب والأعشاب والأحراش تستخدم لأغراض البناء في أماكن أخرى من العالم.

ففي المناطق شبه الصحراوية تعتب الأحراش والأعشاب من المواد الأساسية للبناء حيث أساس البناء يكون خفيفاً والمساكن تكون صغيرة على شكل أكواخ وفي العالم الغربي تكون على شكل مخروطي.

أما المناطق الصحراوية شمال خط الاستواء في أفريقيا فالتربة فيها تستخدم لعمل اللبن وربما يخلط معها الحصى وكذلك الحجر هي مادة أخرى تستعمل في البناء، فحجر الكلس والحجر الرملي والجرانيت والمرمر كلها أحجار استخدمت بصورة واسعة للبناء.

العمران الريفي وأنماط الاستيطان الريفي

التوزيع المكاني للمساكن الريفية

يشكل العمران الريفي وبشكل خاص العمران السكني المظهر الحضاري والبصمة الظاهرة التي يتركها الإنسان في المناطق الريفية من خلال مجهوداته في استقلال العناصر البيئية في تلك المناطق، وتختلف هذه البصمات والظواهر من مكان استيطاني إلى آخر تبعاً لسلوك وعلاقات التجمعات البشرية الريفية ولذلك اتخذت المنازل الريفية أنماطاً مختلفة تبرز تفاعل الإنسان مع خصائص تلك البيئة سواء ما يتعلق بمظاهر السطح أو التركيب الجيولوجي للأرض أو ما تجود به من مواد محلية يمكن استخدامها في حركة البناء والعمران ومنها ما يتعلق بالخصائص الاجتماعية للسكان ومدى استعدادهم للتعاون والعيش في بيئة ريفية موحدة وممارسة الأنشطة الاقتصادية على ضوء موارد تلك البيئة. ولذا اعتبرت المراكز العمرانية المعبر عنها بأنماط السكن، أول خطوة للإنسان الريفي من ملائمة نفسه للظروف والعناصر البيئية منذ أن قرر اتخاذ القرى الزراعية شكلاً ونمطاً لحياته المستقرة. قد تكون متجمعة أو نمطاً وسطاً بين هذين النمطين، هذه الأنماط التي لازالت تشكل البصمة الظاهرة في توزيع المساكن من بيئة الريف كأحد أبرز عناصره العمرانية، لذا نحاول من نظره سريعة دراسة تلك الأنماط والعوامل المؤثرة في نشوءها:

1. نمط السكن الريفي المتجمع Clusterd Rural Setterment

حيث تتجمع المنازل وفق هذا النمط مكونة قرى صغيرة عديدة تاركة المناطق الزراعية المجاورة خالية من المباني والمنشآت وعادة ما يقوم المزارع برحلات يومية إلى الحقول للعمل فيها

ويقضي فيها يومه ثم يعود إلى مترله في القرية في آخر النهار. وقد تظافرت عوامل عديدة في ظهور هذا التجمع السكاني الريفي ويمكن تلخيص هذه العوامل في الآتي:

أ. **الحاجة إلى الدفاع والحماية:** حيث يلجأ المزارعون للتجمع في قرى حتى يتسنى لهم الدفاع عن أنفسهم ورد الأخطار عندما كانت القرى عرضة للغزو والسطو خاصة في فترات عدم الاستقرار السياسي أو التدهور الاجتماعي.

ب. **العلاقات القبلية والأسرية:** إذ لهذا النوع من العلاقات أهمية كبيرة في ربط سكان القرية لأن الذين كانوا ينشئون القرية في البداية تربطهم علاقات دم. وقد أدت هذه القرابة إلى رغبة هؤلاء في السكن قرب بعضهم البعض وكثيراً ما كانت هذه العلاقات الاجتماعية ترتبط بدرجة معينة من الجماعية أو المشاعية في استغلال الأرض حيث كانت الحقول والمراعي والغابات شائعة الاستخدام بين أفراد القبيلة و كان توزيع الحقول يتم بحيث أن كل قروي يمنح قطعة أرض ذات مساحة وخصوبة متساوية وعلى بعد متساو من القرية كالآخرين.

ت. **ندرة المياه:** تلعب ندرة الماء خاصة في تلك الأماكن التي تتميز بترب جيرية على تشجيع تجمع المنازل حول المواضع التي تتواجد فيها المياه ة و يتمركز هذا النوع من الاستيطان حول الآبار العميقة التي يتم حفرها وكذلك صيانتها بواسطة أهل القرية أو عند الينابيع والعيون المتناثرة. وقد يؤدي توفر المياه في المناطق المستنقعية الرطبة المعرضة للفيضانات إلى تجمع النازل في مواضع المرتفعة الجافة كما في المناطق الساحلية.

ث. **الوراثة المتجزئة:** قد يرجع وجود قرية إلى ما يسمى بالوراثة المتجزئة أي تقسيم الأرض وتوزيعها على الورثة عند وفاة الأب. وهكذا بالتقادم وتكرار الحالة يتحول المترل الزراعي الكبير تدريجياً إلى سكن متجمع.

ج. **المحصولات الحقلية:** يوجد ارتباط كبير بين التجمعات السكنية والاقتصاد القائم على المحاصيل الحقلية، ذلك لأن مساحة الأرض التي تستخدم في زراعة المحاصيل أقل من مساحة الأرض التي تستخدم لتربية الماشية لغرض الرعي وزراعة العلف. لذلك تشكل المناطق السهلية أكثر التجمعات الريفية لأنها تستخدم في زراعة المحاصيل التي يكون عددها كبير وهذا يعني ازدياد عدد العوائل الساكنة قرب حقولها المتعددة فينشأ سكناً متجمعاً لهم.

ويدفع هذا النمط من التجمعات السكنية إلى أشكالاً مختلفة من المستوطنات الريفية إضافة إلى ما ذكر منها:

أ. **القرية الزراعية ذات النمط السكني التقليدي Farme village** : التي تنشأ منه تجمع النتازل في مكان واحد وحولها المباني والمنشآت حيث يبتعد هذا التجمع مسافة عن الحقول الزراعية التي يقصدها المزارع برحلات عمل يومية.

ب. **القرى ذات النمط السكني المتجمع بغير انتظام House fendoorf** : وهي القرى التي تشكلت من تجمع منازل بشكل عفوي خال من أي أثر للتخطيط لذلك تجد شوارعها متعجرفة وضيقة ومنازلها مبعثرة بغير انتظام.

ت. **القرى ذات المنازل المتجمعة بانتظام Strassendorf**: وهي تلك القرى التي دخل التخطيط إليها وجعل منازلها تنتظم على الشوارع بشق معين لتشكل في النهاية نمطاً من السكن المجتمع حول ساحة أو منطقة خضراء وتختلف القرى من ها النوع في عدد منازلها فمنها قليلة ومنها ما يصل عدد منازلها إلى المئات وهناك نمطاً آخر لتوزيع المساكن على شوارع منتظمة تلتقي مع بعضها بزوايا قائمة فتنتج قوى تسمى قرى الشوارع المستقيمة ذات الزوايا القائمة.

2 – نمط السكن الريفي المتناثر (المترل الزراعي المعزول)

Dispersed Rural Settlement

وفيه تسكن كل عائلة في مترل منعزل يقع على مسافة من الجيران وأهم العوامل الـتي أدت إلى نشوء هذا النمط من الاستيطان هي:

1. عدم وجود الحاجة إلى الدفاع والحماية نسبة للسلام والاستقرار السائدين.
2. أن عملية الاستيطان تمت بواسطة عوامل رائدة بدلاً من المجموعات التي تربط بينها وشـائج الدم أو الدين وما شابه ذلك.
3. سيادة العمل الزراعي الخاص بدلاً من الملكية الجماعية.
4. الوحدات الزراعية كبيرة بدلاً من الملكيات المجزأة.
5. اقتصاد ريفي تسود فيه تربية الماشية.
6. مناطق تلالية أو جبلية.
7. وجود المياه بكميات وافرة وسهولة الحصول عليها.

وقد يحدث هذا النمط من السكن الريفي نتيجة سياسة حكومية مقصودة لغرض تشـتت القرى وبالتالي توحيد القطع المجزأة من الأرض إلى وحدات كبيرة ذات جدوى اقتصاديـة مـن الزراعة ولذلك تبدو المنازل الريفية أما تقليدية أو ذات نمط حديث جراء تدخل الدولة.

3 – نمط السكن الريفي شبه المتجمع Semi- Ciasterd

توجد أنماط عديدة من السكن الريفي التي لا تتفق مـع النوعـين السـابقين المتشـتت والمتجمع، رغم أنها تجمع بعض مميزات وسمات هذين النوعين ويمكن أن نطلق على هذه الأشكال

شبه المتجمعة أو شبه متشتتة التي إذا ما توزعت من مكان ما في البيئة الريفية ينتج عنـــها أحـــد الأشكال الاستيطانية الآتية:

أ. القرى الصغيرة.

وهي أكثر الأنواع شيوعاً وتتكون من عدد صغير من المنازل تتجمع بغير اتصال وفي هـــذا النوع من القرى تقع فيه المنازل في مركز القرية بعيداً ومنفصلاً عن الأراضي الزراعية.

ب. قرى ذات منازل مفتتة غير منتظمة.

وهي القرى التي تضم نمطاً من توزيع المساكن الذي يشترك مع منازل القرى الصغـــيرة في كثير من السمات ولكنها تختلف عن الأخيرة في ناحية اجتماعية هامة، إذ تتكـــون المجموعـــات القروية غالباً من ثلاث أو أربع مجموعات منفصلة من القرى الصغيرة، وأساس التفرقة مبني علـــى علاقة الدم أو الدين أو اللغة. وتحمل المجموعة كلها التي تتكون منها القرية اسماً واحداً كما يربـــط الناس بشعور الانتماء إلى المجتمع القروي رغم الانفصال الجغرافي بين مجموعات القرى الصغيرة.

جـــ. القرى ذات المنازل شبه المهجورة.

تكون هذه القرى نتيجة لبرامج الإصلاح الحكومي الذي يحاول إعادة توطين المزارعـون في منازل منفصلة تاركة وراءها قرى تحتوي فقط على جزء كبير من سكانها الأصليين.

د. قرى الصف ذات المنازل والمزرعة الطويلة **Linear long- lot** .

تعرف هذه القرى باسمين هما (قرى الصف أو قرية ذات المزرعة الطويلة) وهي من ناحيـــة الشكل وسط بين التجمع و المتشتت حيث توجد المنازل الفردية على طول طريق واحد مثل قرية الشارع ولكن الأولى تختلف عن الثانية بأن منازلها أكثر تباعداً عن بعضـــها البعـــض وأن كـــل الأراضي التي تخص المزارع تقع في حيز كبير وطويلة يمتد من خلف المترل.

أنواع السكن الريفي

إذا كان نمط المستوطنة الريفية يمكن استنتاجه من خلال العلاقة بين المسكن والآخر بغض النظر عن حجم المسكن لإظهار ذلك التوزيع من الساكن الذي يعطي أنماطاً مختلفة من التجمعات السكنية التي مع الاستعمالات الأخرى تشكل المستوطنة فإن السكن الريفي نفسه يعد من أهم عناصر التكوين المرفولوجي للمستوطنة الريفية الريفية حيث تخلق الهياكل التصميمية وهندسة بناء المساكن أنماطاً عمرانية تعبر أشكالها مع باقي الأنشطة العمرانية الأخرى عن مجمل الوظائف التي توضحها استعمالات الأرض في المستوطنة الريفية والتي يتكاملها مع أنماط الشوارع ونظام الأبنية والقطع تظهر خطة المستوطنة التي ترسم شكلها الخارجي إذ أن تشكيل المنازل الريفية من حيث طريقة بنائها والمواد المستخدمة وطريقة هندسة الهياكل التصميمية للوحدة السكنية هو الأساس في تكوين الشكل المرئي أو الخارجي للمستوطنة لأنه يعطي كل المعالم المورفولوجية للمستوطنة الريفية ومن هنا صار مهماً دراسة أنواع المنازل حسب تلك الاعتبارات أي:

1. أنواع المنازل حسب طريقة البناء.
2. أنواع المنازل حسب مواد البناء.
3. أنواع المنازل حسب الطرز المعمارية.

أنواع المنازل حسب طريقة البناء:

واضح أن المنازل الريفية تختلف من حيث أشكالها وأحجامها وخططها فمنها ما هو بسيط ومتواضع كالكوخ وما دونه ومنها المنتظم في شكله وخطته ومنها ما يعلو إلى طابقين أو أكثر ويعود سبب هذا التمايز إلى الاختلاف في مستويات المعيشة في الريف ونظم استغلال الأرض تلك التي ترسم النشاط الاقتصادي للمنطقة الريفية إضافة إلى عوامل أخرى منها ما يعود إلى

عامل المسافة بين المزرعة والسكن ومتطلبات الأمن والدفاع ومنها ما يعود إلى العادات والتقاليد أو بعض السلوكيات للمجتمع الريفي. وفي كل الأحوال فإن تأثير هذه العوامل ينعكس على اختيار الطريقة الملائمة لبناء المساكن التي تظهر على نوعين:

1. **المساكن المؤقتة:** التي تظهر بشكل خيمة أو كوخ أو جواربي حيث أن أغلب ساكني هذه الأنواع من المساكن هم من البدو أو الصيادين أو الزراع، حيث تشكل الخيمة مسكناً للجماعات التي تمتهن الرعي ولذا ينتشر وجودها في المناطق الصحراوية الحارة في المشرق والمغرب العربي حيث جلبت القبائل العربية التي تسكن الجزيرة العربية هذا النوع من المساكن إلى المغرب العربي أبان الفتوحات الإسلامية. ومعروف أن الخيمة تصنع من وبر الإبل أو صوف الغنم أو شعر الماعز لتحاك على شكل خيمة منفردة أو بيت شعر متعد القوائم (مثلث ومربع حسب عدد الأعمدة) ومقطع بواسطة الزروب (الرواقة) حيث يخصص قسم للحيوانات والقسم الأعظم لإيواء الساكنين في موضع والضيوف في موضع آخر ولقد ظل سكن الخيام وبيوت الشعر عند عرب الصحراء مظهر من مظاهر حياتهم الاجتماعية إذ يحدث أن تتفرق الجماعة في فصل أو موسم فيقل ترابطها الاجتماعي وتكون النتيجة أن ينعكس ذلك على نوع السكن الذي في الأنسب أن يكون خفيفاً ومحلى الصنع، أما النوع الآخر من السكن المؤقت فهي الأكواخ التي تبنى من جذوع النخل وأغصان الأشجار على الأغلب أو من الحجارة (الطوب أو اللبن) ثم تسقف بالأعتاب أحياناً وينتشر وجود الأكواخ في شرق وجنوب آسيا وبعض مناطق العالم ذات الريف الفقير جداً. وهناك نوع آخر من الأكواخ ذو الشكل المخروطي الذي ينتشر وجوده في المغرب العربي وبشكل خاص ريف مراكش وعادة مايسكن الأكواخ المزارعين من الفقراء أو المأجورين. وهناك نوع آخر من المساكن المؤقتة يعرف "بالجورابي" الذي يسكنه الرعاة في موسم الشتاء ويبنى من أغصان الأشجار أو الطين وأحياناً الحجر ويكون له سقف مائل يصنع من القش

ويكون بلا نوافذ. هذا وتعتبر مساكن الصرائف والصفائح من المنازل المؤقتة أيضاً نـــاهيك عن سكن المقابر والأرصفة للمشردين من الناس أو من لا مأوى لهم.

2. **المساكن الدائمة:** وهو أكثر انتشاراً من النوع السابق ويبدو في المجتمعات التي تقـوم علـى الحرف والأنشطة المستقرة كحرفة الزراعة أو الصيد ويمكن تميز نوعين من المساكن حسـب حجم أو طبيعة التواجد هي:

أ. **المساكن المنفردة:** وتتميز بوجودها داخل مساحات أرضية لا تتصـل اتصـالاً مباشـراً بتجمعات عمرانية مجاورة وتنتشر مثل هذه المساكن في كل البلاد وخاصة حول الطرق هنـد الجهات التي تتمتع على الأغلب بقدر كبير من الثراء وتختلف هذه المبـاني في أشـكالها وفي مواد بنائها وتركيبها الداخلي وهيئتها الخارجية ووظيفتها وطبيعة استخدامها لذا توجد أنواع متعددة من الأبنية المنفردة يستجيب كل منها بالضرورة للظروف البيئية المحيطة مـن منـاخ وعناصر وظروف أخرى حيوية نباتية وحيوانية أو برية وهذا ما يجعلها تتباين إقليميا.

ب. **التجمعات السكنية الريفية:** تنشأ هذه التجمعات السكنية من المساكن التي قد يـتراوح عددها بين العشرات والآلاف وغالباً ما يختار السكان المواضع المفضلة لإقامـة مسـاكنهم وقراهم بما ييسر لهم وسائل الحياة فتشكل هذه التجمعات المظهر السائد للعمران وذلـك لأن الإنسان بطبيعته يميل إلى التواجد داخل المجتمع الأوسع وتتخذ هذه التجمعـات السـكنية أشكالاً مختلفة في مظهرها الخارجي وفي أبعادها المساحية وفي تركيبها الداخلي والمعمـاري ومستواها الحضاري.

وبطبيعة الحال فإن تناول أنواع المنازل الدائمة حسب طريقة البناء سيقودنا إلى تميز نوعـين من الطرق البنائية هي:

أ. **طريقة البناء التقليدية:** وهي الطريقة التي يسود فيها استخدام مواد البناء التقليدية مـن حجر وطوب ولبن كما سيأتي ذكرها لاحقاً عند وصف مواد البناء.

ب. **طريقة البناء الحديثة:** وهي الطريقة التي يسود فيها استخدام المواد الخرسانية وباقي تقنيات البناء الحديثة. ولكن هذه الطريقة هي الأقل شيوعاً في عالمنا العربي.

أنواع المنازل حسب الطرز المعمارية:

صحيح عند دراسة الأنماط السكنية تتداخل طرز البناء مع مواد البناء في أي فترة زمنية بصورة يصعب الفصل بينهما أحياناً فالفرق بين أقصر ودار مبنى بالبن هو الفرق في مواد البناء فيما بينها وبنفس الوقت فرق من حيث الطرز المعمارية.

ولكن تبقى إمكانية التميز بين أنواع هذه المنازل ممكنة من حيث طرزها المعمارية إذا ما اعتمدنا عاملي الهيكل "التصميمي" (المميز عنه بأنواع الفضاءات في) المسكن الريفي وعناصره الإنشائية والكلام هنا عن المسكن الريفي الدائم الذي يتكون هيكله التصميمي من فضاء وسطي مفتوح يسمى بالفناء الداخلي يتوسط الدار ويشكل قلب الوحدة السكنية حيث لهذه الساحة وظائف عديدة فهي مكانة لتحرك العائلة واتصالها بباقي مرافق الدار ومقراً لجلوسها ونومها في الصيف وفضلاً عن ذلك فإن وجود الساحة الوسيطة تساعد في تهوية الدار وتلطيف الجو صيفاً ووصل أشعة الشمس إلى مرافق الدار المختلفة أثناء الشتاء وتحاط بفضاءات مختلفة (غرف) وتتوقف عدد الغرف على المستوى الاقتصادي للعائلة الريفية.

أما الديوان أو المضيف فهو غرفة تستخدم لاستقبال الضيوف وتقع عادة عند مدخل الدار ويكون معزولاً عن غرف العائلة لتوفير العزل الاجتماعي.

أما حظائر الحيوانات ومخازن العلف فتكون خلف الدار معزولة عن المسكن ومسيجة بسياج من الطين وتكون أماكن حفظ العلف قريبة منها.

أما مرافق الخدمات فإن المسكن الريفي يتميز بعدم توفير المرافق الأساسية كالمطابخ والحمامات والمرافق الصحية اللازم توفرها في أي مسكن كحد أدنى للمعيشة هذا في البيوت البسيطة.

أما في البيوت ذات الطراز الحديث فإنها موجودة أساساً داخل البيت ويشكل مخطط باستثناء المرافق الصحية التي تكون في مكان منعزل بعيداً عن مسكن العائلة وعلى هذا الأساس يمكن تمييز أنواع المساكن الريفية من حيث الطرز المعمارية من خلال:

1. العناصر المعمارية التي تتمثل في:

أ. **مدخل الدار:** يشير مدخل الدار إلى مدى اتساع المنزل وتعدد غرفه والمستوى الاقتصادي للسكان. كما أن هذا الاتساع يسمح بمرور الحيوانات المختلفة التي يمتلكها الفلاح إلى داخل المسكن حيث الحظيرة.

ب. **المضيفة أو المندرة:** وتتميز بأنها أول الغرف التي تقع بعد المدخل مباشرة أو بجواره وهي مخصصة لاستقبال الضيوف والزوار.

ت. **الفناء الداخلي (وسط الدار):** وهو أكثر فراغات المنزل حيوية وهو مكان أنشطة أفراد الأسرة نظراً لموقعه المتوسط في المنزل كما أنه يشرف على كل حجرات المسكن حيث تصل مساحته أكثر من 4×4 أو أحياناً 3×4 متر مربع.

ث. **الحجرات (الغرف):** تختلف في عددها من مسكن لآخر ولكنها في الغالب تكون حجرتين أو ثلاثة ويكون موقع الغرف الجزء الداخلي من المسكن. ومساحتها على الأغلب 3×4م أو 4×4م.

ج. **دورة المياه:** بدأت دورة المياه في الظهور مع وجود السكن ولكن مشكلة الصرف الصحي لا زالت قائمة في معظم المناطق الريفية وخاصة في دول العالم العربي وآسيا وأفريقيا.

2 . من حيث العناصر الإنشائية فإن المسكن الريفي يشتمل على:

أ. **الحوائط:**

وهي الأسيجة التي تحيط بفضاءات المسكن المختلفة وتختلف تبعاً لأسلوب إنشائها من حوائط سائبة كأسيجة فقط إلى حوائط حاملة وهي المستخدمة في معظم الريف وأحد العناصر الإنشائية المهمة في المسكن الريفي وتشمل:

حوائط حاملة: ويستخدم فيها الطوب النئ أو الطوب الأحمر أو الحجر أو القواديس.

حوائط حاملة "حشوات" تكون الدعائم السائدة لهيكل المترل وتشكل من أكتاف أو جذوع النخيل أو الأشجار أو القطع الخشبية التي يصنعها الفلاح.

ب. الأسقف.

تنقسم أسقف المنازل الريفية إلى نوعين رئيسيين هما:

1.أسقف مسطحة: تتكون من جذوع الشجر المكدسة فوق بعضها يتم دهنها بطبقة من الدهاكة وقد تستخدم أعواد البامبو كدعامات تلعب دور الكمرات في السقف ثم تغطى بأفرع الأشجار.

2.الأسقف المقوسة: وهي أسقف قبابية الشكل تستخدم في بعض المنازل الريفية وخاصة الأوربية .

جـ- الأرضيات:

تتكون غالبية أرضيات المساكن الريفية من الطين "الدهاكة الطينية" وهي أحد أسباب تدهور حالة المترل الصحية لأنها صعبة التنظيف وفي بعض الأحيان يقوم الفلاح بتغطيتها بالحصو أو الاكلمة وقليلاً ما تظهر منازل ريفية تستعمل أنواع أخرى من الدهاكة كالدهاكة الأسمنتية أو البلاط أو الخرسانية وهي عبارة عن كسر الطوب المدكوك مع دمجها ببياض الأسمنت .

د- البياض الداخلي والخارجي للحوائط:

من المعروف أن الون الأبيض وسائر الألوان الفاتحة تعكس أشعة الشمس صيفاً وعلى هذا فإن طلاء واجهات المنازل قد تكون إما بالجير الأبيض أو يستخدم الفلاح الدهاكة الطينية.

3. أنواع المساكن حسب مواد البناء:

تختلف المساكن الريفية عن المساكن الحضرية من الناحية الإنشائية باستخدام مواد البناء المحلية غير الدائمة واتساع الطرق التقليدية في عملية التشييد لنسبة كبيرة منها مما جعلها في حالة سيئة إنسانياً وبيئياً، ومادة البناء المستعملة في تشييد الوحدة السكنية مؤشر لمدى تطور ووجود المسكن الريفي، فالمساكن المشيدة من المواد البنائية مثل (الطابوق – الحجر- البلوك) تستعمل طريقة متطورة للبناء وبالتالي فهي بمستوى أفضل من الأخرى إضافة إلى توفر الخدمات الضرورية فيها مثل الماء والإنارة بالمقارنة مع المساكن المشيدة من الطين والتي تمثل مستوى متدهور من المساكن فيها مثل الماء والإنارة بالمقارنة مع المساكن المشيدة من الطين والتي تمثل مستوى متدهور من المساكن.

وبصفة عامة يمكننا تقسيم المساكن وتصنيفها حسب مادة البناء إلى:

أ. مساكن الطوب اللبن:

يصنع الطوب اللبن من خليط التبن والماء والطين وتقلب جيداً وتترك يومين ثم توضع داخل قالب من الخشب ويترك ليجف في الشمس لمدة تتراوح من 15-20 يوم ثم يستعمل في البناء ويتميز الطوب اللبن بأنه مادة رديئة التوصيل للحرارة فلا يتأثر المبنى من الداخل بالحرارة الخارجية وهذا الطوب رخيص الثمن ومتوفر في البيئة إلا أنه يقف عقبة في وجه تطوير المسكن سواء بدخول الخدمات البيتية أو من حيث إمكانية ارتفاع المبنى حيث أن الطوب اللبن لا يصلح استخدامه في مبان مرتفعة تتألف من ثلاثة طوابق فأكثر.

ب. مساكن الطوب الأحمر:

الطوب الأحمر يمثل نسبة ضئيلة من مواد البناء وترتفع هذه النسبة في القرى الكبيرة الحجم -القرى القريبة من المدن- والقرى الواقعة على الطرق- والمساكن المتطورة القائمة على أطراف القرى.

ويرجع الاتجاه في البناء بالطوب الأحمر إلى التحضر والتعليم الي يرفض البناء بالطوب اللبن والذي يتأثر بالمناخ والأمطار حالاً وكذلك من حيث النظافة لما يحتويه المسكن المبني بالطوب اللبن من حشرات وفئران.

ومن مميزات الطوب الأحمر أنه لا يمتص من الماء أكثر من نصف إلى سدس وزنه وأن يكون مقطع الطوبة مستقيماً وخالياً من الزوائد وأن تكون الطوبة خالية من التشقق والفراغات.

جـ. مساكن الأحجار.

تبني مساكن هذا النوع بحجارة سمكها 80سم ويقل هذا السمك بالارتفاع وتستخدم المواد الأسمنتية كمواد لاصقة من الجهة الداخلية، ويتطلب البناء بالحجر التقطيع والتجهيز في المحاجر ونقل الحجارة إلى مكان البناء وقد تكون أشكال الحجارة متساوية ومنتظمة وقد تكون غير منتظمة.

ورغم أن هذه الأنواع في مواد البناء هي السائدة في الوطن العربي واغلب مناطق العالم إلا أن أنواع أخرى من المنازل الريفية من بقاع العالم تبني من مواد أخرى كالخشب خاصة في المناطق الأوربية ذات الغابات الواسعة أو من خليط من مواد البناء كالأخشاب والطوب.

د. المساكن الريفية ذات البناء الخرساني:

وهي المنازل الريفية التي استخدمت فيها مواد البناء الحديثة بدلاً من المواد التقليدية آنفة الذكر وقد ساد وجودها في الريف الأوربي وبعض الريف العربي تلك التي تبنى من الأسمنت المسلح الذكر وقد ساد وجودها في الريف الأوروبي وبعض الريف العربي تلك التي تبني من الأسمنت المسلح وبالحديد وهذا يعتمد على المستوى الاقتصادي للعوائل الريفية وقدرتها على التكيف مع مستحدثات العصر التقنية في مواد البناء التي تجاوزت حالتها التقليدية التي سادت الريف ردحاً طويلاً من الزمن.

مشاكل الإسكان الريفي

بالرغم من هذا التعدد لأشكال وأنماط الإسكان الريفي وتنوع المنازل فيها من حيث مواد بنائها والطرز المعمارية المؤلفة لهيكلها الإنشائي واختلاف العناصر المعمارية في المنازل الريفية بحكم قدم ظاهرة الاستيطان الريفي التي تعود جذورها إلى ما بين 12 ألف – 9

آلاف سنة ق.م، إلا أن السكن الريفي لا زال لا يشكل سوى 40% من مجمل مراكز الاستيطان في العالم لذلك لا يدور الكلام اليوم عندما يتم التطرق إلى مشاكل الإسكان، إلا إلى مشاكل الإسكان الحضري لأهمية الإسكان الحضري وخطورة وتعدد المشاكل فيه إذا ما قورن بمشاكل الإسكان الريفي التي يمكن وصفها بما يلي:

1. استخدام مواد البناء التقليدية التي هي على الأغلب محلية كالأخشاب- الطوب.
2. المظهر الخارجي للمساكن يتميز ببدآة الأساليب التصميمية المتمثلة في الخطوط المنحنية والدائرية.
3. استمرار المسكن الريفي لضمه مواضع للحيوانات المتمثلة في الحظائر التي تقع في المكان الخلفي.
4. خلو الأماكن الريفية من بعض الشروط الصحية والأمنية.
5. عدم وصول الماء النقي إلى معظم الريف العربي.
6. خلوها من وسائل التدفئة والإضاءة.
7. افتقار المسكن الريفي لوسائل الصرف الصحي والمرافق الصحية على الأغلب.

الاستيطان الحضري

بالرغم من أن أكثر نظريات الاستيطان تعتبر أن الاستيطان الحضري هو امتداد لظاهرة الاستيطان الريفي. وأن القرية هي أصل المدينة باعتبار أن عملية التحضر جاءت جراء حالة التطور الذي أصاب حياة القرية ابتداء من تحقيقها للفائض في الإنتاج الزراعي الذي دفع إلى ظهور حركة التجارة بين المستوطنة القروية ومن ثم ظهور الصناعات التي عززت النشاط التجاري كصناعة السفن والخدمات المقدمة لها. وتطور أنواع العمران والخدمات وباقي الأنشطة التي توضحت بها صفة التخصص وتقسيمات العمل والتي صارت

تتركز في منطقة معينة خارج المناطق الريفية (ذات النشاط الزراعي) فشكلت تلك المنطقة نواة المدينة التي بنموها وتطورها وتعقيد حياة سكانها أعطت صفة التحضر. وهكذا صارت المدينة **تعرف على أنها**: مكان لتركز السكان الذي يمارس الأنشطة الاقتصادية الحضرية التي لها خصائص ومميزات أبرزها تقسيمات العمل ونظام التخصص الوظيفي ولذلك ظهر شكل المدينة ليعبر عن مجموعة من استعمالات الأرض المختلفة من (سكنية – صناعية- تجارية واستعمالات النقل والحركة...الخ).

وبالرغم من وجود اختلاف بين أنواع المدن من حيث الحجم والسكان والمساحة التي تشغلها استعمالات الأرض فيها إلا أن التقسيمات لتشكيل المناطق الحضرية أو ما يعرف بمورفولوجية المدينة ظلت ثابتة كونها تتمثل في ثلاث عناصر هي (خطة المدينة، نمط استعمالات الأرض، ونمط العمران فيها) وإذ كانت الدراسات الحضرية (الوظيفية والمورفولوجية) غطت أغلب ما يتعلق بخطط المدن وتوجهاتها المستقبلية وكذلك النظريات التي تفسر تركيب المدن ونمط التوزيع المكاني لاستعمالات الأرض في المدن فإن مسألة أشكال الاستيطان الحضري وأنماط العمران فيها لازالت من المواضيع التي تحتاج إلى دراسة على غرار أشكال وأنماط الاستيطان الريفي وهذا ما سيتم تناوله.

أشكال الاستيطان الحضري:

مع أن المدينة هي الشكل البارز لظاهرة الاستيطان الحضري غير أن وصف وتفسير وتصنيف الوظائف الحضرية للمدن جعل المدينة وأقاليمه الحضرية تكون في أكثر من شكل استيطاني وقد خرجت العديد من الدراسات الجغرافية والتخطيطية لتصنيف هذه الأشكال منها دراسة (هارولد وهورس وبرمنيل وبرش وكنك... وغيرها من الدراسات التي وضعت تصنيفاً للمدن حسب وظائفها- أحجامها وصفاتها ومدى مركزيتها) وفق معايير جغرافية وظيفية بالدرجة الأولى غير أن تصنيفاً أخر لا يقل أهمية عن التصنيفات الوظيفية بل ولا

يكاد يكون المقرر لكثير منها حملته دراسات أخرى مثل الدراسات التي أ'دها (كريستالر وزيف) التي وإن كانت تتعلق بدراسة حجوم المدن ووظائفها المركزية إلا أنها مع دراسات بنية المدينة تمحضت عن تميز سبع مناطق حضرية يمكن اعتبارها أشكالاً للاستيطان الحضري وهي:

1. المدينة الضخمة أو الكبيرة (مدينة المدن) Megaloplis :

وهو مصطلح مكاني جغرافي يطلق على منطقة حضرية واسعة (.....) تتألف من عدة مدن عظيمة (المترويولينانية) التي تحولت جميع الأراضي التي تفصل بينها إلى أشرطة حضرية بحيث أصبحت على شكل كتلة واحة أو مدينة واحدة يصعب التميز بين المدن المؤلف لها لأن ما تبقى من الأرض الريفية التي كانت تفضل بين المدن (المترويولينانية) تحولت إلى مناطق سكنية وبعضها صناعية لذلك يشكل وجود هذه المدن ثورة حضرية معبر عنها بسعة حجم استعمالات الأرض فيها وضخامة حجم السكان الذي يسكنها حيث يصل حجم الاستيطان في مثل هذه المدن إلى ما يقارب من 40 مليون نسمة كما هي الكتلة الحضرية فى الشمال

الشرقى للولايات الممتدة بلين نيويورك ونيوزويك وفيلاديفيا وتورنتن أنظر الشكل (.....) التى يضم اليوم 38 مليون نسمة والتى تحتوى على كبرى المناطق الصناعية وتشكل أعظم المراكز المالية والسياسية فى العالم حيث تجهز جميع أمريكا بعدة خدمات أساسية فمن الناحية الوظيفية نجد أنها تحتوى على أكبر المراكز الصناعية المتخصصة بالدقة والحساسية الى جانب الصناعات الحديدية والكيماوية والمعدنية كما أنها تضم عدد من الموانىء الرئيسية التى ترتبط بعلاقات تجارية مع موانىء غرب أوروبا بشكل خاص والعالم بشكل عام لذلك تضم أكبر تشكيلة لأهم المراكز التجارية والصناعية والملية والحضارية فى العالم وتتركز فى أشهر الجامعات والمختبرات العلمية والصحية اضافة الى الزعامة السياسية

العالمية لوقوع العاصمة واشنطن فيها . وهذا ما جعل خمس من سكان الولايات المتحدة يتركز استيطانيا فيها . واذا كانت نشأت هذه الكتلة الحضرية يعود الى أسباب متعددة فأنها تصلح أن تعمم على باقي المناطق الحضارية الواسعة التي يمكن أن تخلق في مناطق مختلفة من العالم ومن هذه الأسباب :

أ- ظهور عدة نوى حضرية ذات اقتصاد متين ضمن رقعة جغرافية واحة تشكل العمود الفقري للأقتصاد الأمريكي من خلال الوظيفة المالية والصناعية والتجارية كونها موانىء الساحل الشرقي الأمريكي وقد ساهم العامل الإداري الذي قسم الساحل الأطلسي الأمريكي إلى عدة ولايات دعت حاجة كل منها إلى منافذ أو موانىء صارت تتنافس فيما بينها توسعت واتصل نموها مع بعضها فأصبحت كتلة واحدة .

ب- العامل التاريخي المتمثل بكون هذه الرقعة كانت بوابة العالم الجديد الذي جذب المهاجرين الأوائل إليها وفي أوروبا بشكل خاص للعمل في مراكزها التجارية والصناعية والمالية.

جـ- العامل الطبيعي المتمثل بملائمة المناخ والتربة وتركز الموارد التي ساهمت في تجميع أكبر زخم بشري لاستغلال هذه الموارد وبالتالي نشوء أكبر ظاهرة حضرية.

د- العامل التكنولوجي المتمثل في تطور حركة النقل والاتصال والصناعة والأنشطة الأساسية التي خلقت هذه الثورة الاستيطانية الواسعة ومثل هذه العوامل يمكن أن تلعب نفس الدور في خلق الكتلة الحضرية الضخمة في مدن اقليم الراين بألمانيا وفي افليم البنين في انكلترا الذي يضم مدن مانشستر وبرمنجهام وليدز ذات 19 مليون نسمة واقليم هنسن في اليابان الذي يمتد من أوزاكا الى كوبي ذات الـ30 مدينة , كذلك يمكن أن يشكل مثلث الدار البيضاء وفاس وطنجة الذي يضم أهم المدن العربية في المغرب ذلك النوع من الكتلة الحضرية الواسعة التي تضم ثلث المغرب الى

الحضر يتركز فى مدن طنجة وأصيلة والعرائش والقنيطرة وستيلا والرباط ومكنـــاس وفاس لتشكل مفهوم المدينة الضخمة اقتصاديا واستيطانيا

2- المدينة المتجمعة أو المتصلة Conurbation:

وهى المدينة التي تتكون من مجموعة المناطق الادارية ذات حجوم سكانية مختلفة تـتركز فى تلك المناطق المعمورة والمتصلة مع بعضها (وإن كانت معزولة عن بعضها بشرط ضيـــق من الأرض الريفية) وأن جميع المناطق ترتبط بمركز حضرى رئيسى هو المدينة المركزية الـــتى تضم أكبر تجمع حضرى فى بريطانيا يصل تعداده اليوم إلى ما يقرب من 15 مليون نســـمة موزعين على عدد كثير من الوحدات الإدارية ومثل ذلك باريس الكبرى وطوكيو والقـــاهرة وطرابلس وبغداد وربما الخرطوم لاحقا , وعادة ينشأ هذا التجمع الحضرى لأسباب عديـــدة منها :

أ- وجود مدينتين أو أكثر تنمو وتتسع حضاريا حتى تلتقى سوية لتشكل كتلة حضريـة متجمعة او متصلة مع بقاء إحدى المدن هى المسيطرة على باقى المراكـــز لتكـــون المدينة المركزية وربما تجعل من تلك المراكز ضواحى لها كعلاقة القـــاهرة بـــالجيزة وحلوان وبغداد بالراشدية والمحمودية و النلوجة .

ب- قد ينشأ التجمع أو الاتصال الحضري بين المدن على أساس نوع من التكامل المـــدني والتداخل الحضري بين بعض المراكز الحضرية التي سرعان ما تتصـــل وتتجمـــع في كتلة واحدة بحيث لا يمكن أن يستغني بعضها عن البعض الآخـــر لا وظيفيـــاً ولا اجتماعاً.

ت- وقد يحدث التجمع الحضري جراء نشوء مدينة أو أكثر حول مدينة فتصبح هـــذه المدن مكملة لها اقتصادياً واجتماعياً تظهر هذه المدن عبارة عن مراكز تابعة للمدينـة القديمة ولا تنفصل عنها فتبدوا وكأنها شكلاً استيطانياً متصلا.

3- المدينة الزعيمة الرئيسة Primate city:

وهي تشكل ثالث للمدن الكبيرة ذات الاستيطان الواسع والتي تتكون من تجمعات حضرية كبيرة تسيطر على كثير من الوظائف الحضرية للبلد وأن مفهومها يرتبط بقواعد التوزيعات الحجمية للمدن ليدل على العلاقة في الحجم بين أكبر مدينة في القطر ومدن الأخرى ورغم أن وجود هذه المدن يمثل حالة لا تتفق مع قواعد أو نظم ترتيب حجوم المدن إلا أنها تمثل حقيقة ونمط آخر لتوزيعات المدن حسب حجومها إذ يوجد في هذا لشكل من المراكز الحضرية الاستيطانية في بعض الأقطار وخاصة النامية التي يمثل وجود تلك المراكز فيها بؤرة لتجمع مقرات الإدارة العامة والمؤسسات الصناعية والنوافذ المالية إضافة إلأى أنها مقرات للمراكز التجارية والثقافية بل أنها مقر الحكومة القومية لذلك وصف (كتر برك) المدن الرئيسية على أنها ظاهرة تقترن بصورة خاصة بأقطار الشعوب الجديدة التي تتصف بمستوى معاشي منخفض وتتصف بقلة نسبة التحضر فيها لذلك تظهر مدينة واحدة تجمع وظائف العاصمة القومية كماهي طهران بالنسبة لإيران والخرطوم في السودان وتونس ومكسيكو ومنيلا وغيرها من المدن الزعيمة التي يشكل وجودها مركزاً حضارياً واقتصادياً رئيساً في أقطارها.

4- المدينة المركزية (المترويوليانية)

وهو الشكل الاعتيادي للمراكز الحضرية التي تتنوع فيها استعمالات الأرض الحضرية ، وتمثل ظاهرة الاستيطان الحضري المعبر عنه بالوظيفة السكنية 50% من مجمل الاستعمالات الحضرية مع ارتباط هذه المراكز بعلاقات وظيفية اقتصادية واجتماعية وحضارية متنوعة مع المنطقة المحيطة بها والتي تعرف بإقليم المدينة وعادة مثل تلك العلاقات تقررها مركزية المدينة المتمثل بحجم السكان المستوطن في تلك المدينة ومقدار الخدمات التي تقدمها لساكنها وإقليمها وعادة ينظر إلى المدن المركزية ذات السكان التي تجاوز 100 ألف وصولاً إلى المدن المليونيه كما هي أغلب مدن العالم.

5- الضواحي Suburbs

تشكل الضواحي مظهراً استيطانياً برز في العصر الحديث بشكل جلي رغم أنها ليست ظاهرة حديثة فقد اقترن وجودها مع النشأة الأولى للمدن فشكل وجودها أحد عناصر خطط المدن السومرية والسندية القديمة وزاد وضوحاً كشكل استيطاني عبر المدن الأغريقية الكبيرة وتحديدا في أثناء وكذلك العربية الإسلامية في العصور الوسطى حتى وصل الأمر في العصر الحديث لكي تشكل الضواحي (نوايا حضرية) تقع خارج المدن المركزية على مسافات يسهل الوصول إليها مرتبطة اقتصادياً واجتماعياً بالمدن المركزية لذلك لا يستغل أكثر سكانها بالزراعة لاعتمادها على المدينة ولقد برزت الضواحي نتيجة للتطور السريع الذي أنتاب المركزية جراء تركز المشاريع الصناعية فيها فصار يعمل بها الطبقات المتوسطة من السكان وكان للعوامل التكنولوجية دور كبير في ظهور وتوسع ظاهرة الضواحي التي كانت (السيارة) أبرز أشكالها حيث لعبت دور كبير في تسهيل الاتصال بين المدينة المركزية وأطرافا بل وزيادة حركة الانشطار العائلي لتتخذ العوائل المتزايدة في الأطراف كضواحي سكنية في ظل نشاط الجمعيات التعاونية الخاصة باستهلاك وتوزيع الأراضي السكنية مقابل الطلب المتزايد على حب التملك للوحدات السكنية و لم تكتف أطراف المدن المركزية بضم الضواحي السكنية وإنما نشأت أنواع من الضواحي منها الصناعية والتجارية والترفيهية ، فيما استمر قسم من الضواحي يتبع نظام الزراعة الكثيفة ويشكل مصدراً لإمداد المدينة المركزية بالفواكه والخضر ، إلا أن الضواحي السكنية هي الأكثر شيوعاً حتى أنها صارت على أنواع منها ضواحي للسكن الراقي التي يقطنها ذوي الدخل العالي وضواحي للطبقات المتوسطة ، ومع ذلك أظهرت الدراسات التي أجراها (هرس) أن الضواحي السكنية في أمريكا ترتبط ارتباطاً قوياً مع المدن الصناعية والمدن الترفيهية أكثر من ارتباطها بالمدن المتعددة الوظائف كالسياسية والإدارية على العكس في الدول العربية التي يرتبط وجود الضواحي فيها بالمدن العاصمية لأقاليمها والمدن المتعددة الوظائف.

6- الأطراف الحضرية:

تمثل الأطراف الحضرية المناطق الانتقالية بين الاستعمالات الحضرية والمناطق الريفية وتنشأ هذه المناطق على هوامش المدن جراء توسع المدن المستمر وزحفها نحو المناطق الريفية التي حولها وتقع الأطراف الحضرية بشكل عام خلف منطقة الضواحي متبعتاً طرق المواصلات أو المجاري المائية خارج المدينة وغالباً ما يحصل تداخل بين الضواحي والأطراف الحضرية لأن بعض المناطق السكنية (وهو المظهر الاستعمالي الأول لأراضي الضواحي مع باقي الاستعمالات الصناعية والتجارية) التي تظهر في هذه المناطق وحتى ضمن حدود المدينة تظهر على شكل كتل عمرانية متناثرة يمكن أن تكون أطرافاً حضرية أكثر مما هي ضواحي وبذلك يمكن القول أن المظهر الشائع لمناطق الأطراف الحضرية هو عدم التسابق في استعمالات أراضيها وتتكون على الأغلب مظهراً استيطاني هامشي إضافة إلى تناثر بعض الاستعمالات المخطط كالمستشفيات أو المقابر أو المساحات المكشوفة الخالية.

7- مدن التوابع Satellites :

وهو نموذج جديد لأشكال الاستيطان الحضري خاصة إذا كانت المدينة التابعة مستهلكة كبلدة سكنية تعتمد على المدينة المركزية الكبيرة للحصول على جميع أنواع الخدمات رغم أنها تقدم فرص عمل لسكانها المحليين، ولكن هذا فيما يخص المدن التوابع المخطط لها والتي بدأت فكرتها بعد الحرب العالمية الثانية عندما أريد تخليص الكبرى مثل لندن وباريس من الترهل السكاني الذي أصابها جراء النمو الطبيعي والهجرة إليها غير أن واقع المدينة التابعة سواء كانت مستهلكة أو منتجة ربما أقدم من المدينة المركزية ولذلك فهي مستقلة عنها غير أنها أصبحت تابعة أو أصغر حجماً من المدينة المركزية لأنها لم تنجح في منافسها ولذلك أصبحت معتمدة عليها وخاصة في تقديم الخدمات الحضارية ولذلك نجد أن مدن التوابع تقع عادة في نهاية منطقة

الأطراف الحضرية للمدن الكبرى وإن نشأتها أصلاً كان بطريقة طبيعية تدريجية أو بطريقة مخطط لها.

الأنماط المكانية للإسكان الحضري

"توزيع مناطق السكن في المدن"

نقصد بالأنماط السكنية الحالة الشكلية والتركيبية للواقع السكني ضمن مكان وزمان معينين. فالأنماط السكنية تمثل التباين المكاني في التوزيع الجغرافي لعناصر التركيب السكني الناتجة عن نشاط وتفاعل عدد من العمليات التي كونتها طبيعة العلاقات بين عناصر التركيب السكني في المنطقة السكنية. لذا ومن خلال استعراض أشكال الاستيطان الحضري بات من الصعوبة بمكان إعطاء حالة مستقرة للأنماط المكانية للإسكان الحضري عبر هذه الأشكال المتباينة في تكوينها وخصائصها وتتباين وظائفها الأساسية وبالتالي تباين استعمالات الأرض الحضرية فيها إذ أن الأنماط السكنية في الأماكن الحضرية والمعبر عنها بالمدينة وتوابعها البينوية ترتبط بتلك العوامل المحلية والإقليمية والدولية المتداخلة مع بعضها أثرت وتؤثر في تكوين المدينة ونموها فالمدينة التي يرتبط أساسها الاقتصادي بعدد معين من الأنشطة الأساسية "مؤسسات صناعية يمكن أن تقع في ضواحيها أو أطرافها" تختلف أنماط السكن فيها كثيراً عن أنماط مدينة يعتمد الأنشطة غير الأساسية "الخدمية" أساساً لها. كذلك فإن الأنماط السكنية في المدينة الريفية تختلف عن أنماط السكن في مدينة تكامل نموها وهيكلها العمراني وصار فيها من الموروث العمراني ما يؤهلها إلى الاستقرار. هذا فضلاً عن العوامل المحلية المتمثلة بمواضع ومواقع المدن نفسها ونظام الثقل فيها إضافة إلى العوامل الاجتماعية والثقافية كسلوك ووعي مجتمع المدينة ومستواهم الاقتصادي ولثبات العوامل السياسية التي ساعدت على إنتاج الرصيد السكني الذي تتباين أنماطه وتوزيعاته من مدينة إلى أخرى حتى ضمن البعد الواحد بل بين أجزاء المدينة الواحدة حيث المناطق الكثيفة

السكن والمناطق المتجانسة في الكثافة السكنية والتي تختلف حسب المراحل المرفولوجية للمدينة نفسها.

ناهيك عن حالة التباين في الأنماط السكنية بين مدن العالمين الغربي والشرقي أصلاً بحكم تباين العوامل المحلية والإقليمية الدولية فيما بينها.

لذلك يصعب إعطاء حالة نمطية معينة للسكن الحضري ولكن هذا لا يمنع من إمكانية اعتماد مؤشرات بعض الدراسات التي جرت في العالمين الغربي والشرقي التي تشكل تعميقاً قريباً لحالة الأنماط السكنية في مدنها.

الأنماط السكنية في مدن العالم الغربي:

لقد أجريت كثير من الدراسات لتحديد الأنماط السكنية في مدن العالم الغربي منها دراسة لاري يورن في تورنتو بكندا ودراسة كارتر لمدن ويلز ثم دراسة آرثر سمايليز وولسن [1] ... غير أن دراسة يورن تعتبر أقرب إلى واقع الأنماط السكنية في كثير من المدن الغربية فبموجب هذه الدراسات **جرى تشخيص أربعة أنماط سكنية هي:**

1- نمط الإسكان المتصل ذو الكثافة الإسكانية العالية الذي يحتل المنطقة القديمة من مراكز المدن والذي يمتاز بكون منازله قديمه ترتفع فيها نسبة الإيجار.

2- نمط المنازل المنفردة التي يسكنها أصحابها تتوزع بين المناطق القديمة والحديثة من المدني والتي يتخللها أحياناً مناطق العمارات السكنية وهي على الأغلب ذات تجانس اجتماعي وتكون منطقة متوسطة الكثافة.

3- نمط المنازل الفخمة التي تمتاز بارتفاع أسعارها نظراً لسعة مساحتها واستخدام التكنولوجيا في عماراتها ويمثل هذا النمط المنازل في المناطق الجيدة ذات الأسعار العالية بحكم موقعها ورقي بنائها.

4- نمط المنازل غير المتجانسة التي تقع في الضواحي والأطراف الحضارية وهي حديثة البناء على الأغلب وقلة الكثافة.

كذلك فإن دراسة كارتر لم تبتعد كثيراً عن تمييز مثل هذه الأنماط حيث جعلها في أربعة أيضاً هي:

1- نمط من المنازل ذات الصفوف المتصلة ببعضها ميزها بمركز المدينة.

2- نمط المنازل المنفردة والتقليدية التي قد تتخللها العمارات السكنية وتحيط بمراكز المدن مباشرة بعد المنطقة المركزية ويسكنها عامة السكان.

3- نمط المنازل البرجوازية ذات المستوى الاجتماعي المتقدم تمتاز بكونها منازل منفصلة وذات حدائق تقع في المناطق الراقية للمدينة وتجمع بين محاسن الريف والحضر.

4- نمط المنازل المنفردة تقع في الضواحي والأطراف ذات حدائق أمامية وخلفية تركزها غير كثيف وحديثة البناء نسبياً.

أما الأنماط السكنية في المدن الشرقية: وخاصة العربية فقد تظافرت على تحديدها عدد دراسات أبرازها دراسة الدكتور حسن الخياط التي أجراها في الستينات لمدينة طرابلس في ليبيا ودراسة صالح الهيتي عن تطور الوظيفة السكنية لمدينة بغداد وكذلك دراسة مسير القريشي لمدينة بغداد عن الناحية الإجتماعية والعمرانية وبالرغم من أن الباحثين الأولين كانا يطلقان مصطلح "أقليم Region" على نمط المناطق السكنية إلا أنهما كانا يقصدان ذلك النمط في السكن الذي يحتل منطقة معينة من بنية المدينة والتي شخصها الدكتور الخياط في طرابلس بأربع هي:

1- إقليم المدينة القديمة: الذي يضم نمط المنازل التقليدية (الحوش) الذي يتركز في المنطقة القديمة في المدينة.

2- إقليم المنطقة المركزية: الذي يضم نمط المنازل المتصلة والشقق في المنطقة المركزية.

3- إقليم المناطق الحديثة: الذي يضم نمط المنازل المنفصلة (الفيلات) ويقع في المناطق التالية لمركز المدينة في المناطق الراقية.

4- إقليم بيوت الصفيح: من بركات – وزرائيب – وخيم – وبيوت منحوتة في الجبل وبيوت صفيح وتقع في أطراف المدينة وضواحيها.

أما دراسة الهيتي فقد شخصت خمسة أقاليم سكنية في مدينة بغداد هي:

1- إقليم الدور القديمة وهو نمط يسود مركز المدينة.

2- إقليم الدور المتصلة – التي ليس لها حدائق.

3- إقليم الدور المتوسطة ذات الحدائق.

4- إقليم الدور الراقية.

5- إقليم العمارات السكنية.

غير أن الدراسة مسير القريشي تعتبر تشخيصاً دقيقاً للأنماط السكنية في المدنية ورغم إنها تخص مدينة بغداد إلا أنها حالة للأنماط السكنية التي يمكن تميزها في أغلب المدن الشرقية سواء العربية منها أو الإسلامية أو الأسيوية لأنها تتضمن بعداً عمرانياً يعبر عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية لسكان المدن والتي بموجبها نمط السكن في ثلاث مناطق هي:

1- **المناطق السكنية القديمة:** التي تضمن لخطأ في المنازل القديمة والمتهرئة بحكم الإهمال ومثل تلك الأنماط تحيط بالمنطقة التجارية المركزية وهي منازل متصلة مع بعضها ذات طابقين على الأغلب تتوسطها الباحة وقد بنيت بالمواد التقليدية وسقفت بالخشب. ومثل تلك المساكن تشغلها أكثر من أسرة لذلك تتميز بأنها ذات كثافة سكانية عالية وتتخلل مناطقها الشوارع الضيقة وقد تكون في يوم ما سكناً للطبقة الراقية إلا أنها مع التقادم أضحت مسكناً للعمال أو مخازناً للجملة بحكم قربها من المناطق التجارية.

2- **مناطق سكن الطبقة الدنيا:** وهي مناطق لنمط من المنازل الذي تسكنه أسرة كبيرة الحجم لذلك بنيت بأكثر من طابق ورغم أنها حديثة البناء إلا أنها بالحدود الدنيا من المعايير الإسكانية حيث تخلو من معظم الخدمات والمرافق الصحية المتكاملة. وتمتاز مناطق هذا النمط من السكن بارتفاع كثافة الإسكان فيها.

3- **مناطق سكن الطبقة الوسطى أو العليا:** وهي مناطق لنمط من الإسكان الذي إن لم يكن مخططاً له وفق معيار عال للإسكان إلا أنه وبحكم موقعه في أنسب مناطق المدينة التي وزعت أراضيها عن طريق الدولة أو الجمعيات وأن مساكنها تمتاز بجودة بنائها وفق الطرق الحديثة وتتوفر فيها أغلب المستلزمات الصحية والخدمات الضرورية مع حديقة أمامية وربما خلفية وتحظى مناطقها بالخدمات الاجتماعية المتكاملة وصولاً إلى المناطق الخضراء والمفتوحة. وهذه المنازل تسكنها على الأغلب أسرة واحدة وتشكل مناطق هذا النمط منازل لأوسع شريحة في المجتمع الشرقي.

أنواع المساكن الحضرية

رغم التباين بنوعية الحياة الإنسانية عبر جميع جوانبها ظل المسكن يمثل شرطاً أساسياً وضرورياً فيها فقد تنوعت المساكن حسب نوعية الحياة وصار المسكن الحضري حالة موضوعية فيها له أداء وظيفي يجب أن يستجيب للمتطلبات الأساسية والضرورية للساكنين عبر مجمل أطياف الحياة البشرية ونوعاتها إلا أن الفرق ظل قائماً وكبيراً في حياة الإنسان العامة وواقعة المكاني أو الجغرافي في مجال حالة السكن حيث يمكن تلمس هذا الفرق عبر جملة من الاختلافات في:

1- التنوع الكبير في الطرز السكنية من حيث بنائها وتوزيعها من مختلف أجزاء الأرض بل ومختلف أجزاء المدينة الواحدة.

2- التنوع الواسع في العمليات التصميمية والعناصر المعمارية والإنشائية عبر مختلف الأنماط والوحدات السكنية.

3- التنوع المتفاوت في استخدام المواد البنائية والإنشائية على صعيد الوحدة السكنية وأجزائها ومجمل الأنماط السكنية وتشكيلاتها.

ونحاول فيما يلي إعطاء وصف سريع لهذه التنوعات الإسكانية:

أنواع المساكن الحضرية حسب طريقة ومواد بنائها:

صحيح أن فكرة المأوى خلقت لدى الإنسان وعبر التراكمات الطويلة من الخبرة في البناء ابتدأت في المستقرات البشرية الحضرية التي يعود تاريخها إلى 3500 سنة ق.م. حالة متقدمة في تصميم المساكن وطرقة بنائها بالصورة المتطورة والملائمة لجعل المسكن المجال الخاص لتحقيق العلاقات الأسرية التي تبني شخصية الأسرة ومكانتها الاجتماعية وتسمح لها بأداء وظائفها المادية والمعنوية عبر مجتمع المدينة المعقد إلا أن الدراسات الميدانية الشاملة والحيادية كشفت أن هناك أنواعاً مختلفة من المستويات النوعية للسكن لا زالت قائمة بين بلد وآخر بل بين أجزاء المدينة الواحدة وحتى بين أجزائها من حيث أنماطها وتوزيعاتها وطريقة بنائها التي جميعها عناصر تدل على أن التطورات الحضارية التي حققها الإنسان في مجال التقدم العلمي والتكنولوجي مقارنة بالزيادة العددية في حجم سكان المعمورة واختلاف مستوى ونوعية الحياة الإنسانية لديهم ، قد أبقت على تلك التفاوتات الواسعة في طريقة بناء المساكن في كثير من مدن العالم الصغيرة والكبيرة على حد سواء. بحيث تجد تلك المساكن التي لا زالت تتصف بعدم الثبات وبدائية المواد المستخدمة في بنائها وبطريقة تفقد الإسكان إحدى خصائصه ألا وهي صفة الديمومة في الوقت الذي تتوفر فيه مساكن بنيت بطريقة تحمل كل صفات المتانة والمعالم التكنولوجية في انتشارها وطريقة بنائها والمواد المستخدمة فيها. واستطاعت تلك الدراسات تمييز عشرون نوعاً من المساكن في مختلف المناطق والأشكال الحضرية منها:

أ- مساكن تتصف بالمتانة والبقاء (الثابتة) لأنها مبنية من المواد الإنشائية من بالحديد والكوتكريت المسلح مما يجعلها قادرة على أداء وظائفها بصورة جيدة تنتظم على أساسها الحياة الإنسانية وهي:

1- القصور الفخمة سواء المتجاورة أو المنفصلة (فيلات)

2- الدور المنفردة سواء التي تقع في نمط مستقل أو متفرق.

3- الشقق في العمارات السكنية ذات التصاميم المختلفة.

4- المساكن المبينة في الطابوق في أي نمط إسكاني من المدينة.

5- المساكن المبنية من اللبن أو الطوب المنتظم وهي عادة في مناطق المدينة القديمة أو أطرافها.

6- البيوت المتعددة الغرف المعدة لإستقبال المهاجرين والنزلاء.

7- دكاكين وكراجات قطعت واستخدمت للسكن.

8- منازل أخرى مبنية من المواد التقليدية ولكنها غير صالحة للسكن.

ب- **مساكن غير ثابتة (بنيت أو شكلت بطريقة بدائية) وهي على أنواع تشمل**

1- البيوت الجاهزة التي استخدم في تشكيلها وتركيبها مواد مصنعة.

2- البيوت الخشبية التي استخدم في تشكيلها الخشب أو النشارة المضغوطة.

3- بيوت الأنفاق الطبيعية والصناعية.

4- الكهوف الطبيعية المحورة أو المنحوتة.

5- البيوت تحت سطح الأرض.

6- البيوت العائمة فوق سطح الماء (العوامات).

7- بيوت التشرد ومساكن اللجوء المؤقت أو الإصلاحات وهي على أنواع حسب طريقة بنائها أو تشكيلها.

8- بيوت الشعر أو الخيم التي تقام بشكل مجمعات Camps أو مخيمات.

9- الصرائف أو بيوت الصفيح في ضواحي المدن وأطرافها.

10- الأكواخ التي قد تتناثر بين المنازل والعمارات في المدينة أو ضواحيها.

11- البيوت الثلجية في بعض المناطق القطبية أو المتجمدة.

12- باقي أنواع البيوت المتحركة وغير الثابتة كالكرافانات والمقطورات .... الخ

وإذا كانت جميع هذه الأصناف من مساكن دائمة تتفاوت مادة بنائها بين كتل خرسانية بالحديد وكواد تقليدية كالطابوق والحجر والطوب أو مساكن مؤقتة تتراوح بين بيوت مصنعة أو منحوتة أو محورة أو منصوبة على شكل خيام أو بيوت صفيح فإنها تمثل أنواعا من السكن الحضري القائم فعلا يؤدي الوظائف المناط به بدرجات مختلفة تعكس نوعية الحياة الإنسانية التي يعيش فيها الناس والتي تتباين بين معاناة لكل أنواع المشكل السكني الحضري أو بعضها بين ذاتية أو موضوعية – كمية أو نوعية أو تنفيذية وأن مثل هذا الأمر يتوقف على الحالة الإنشائية للمسكن والاعتبارات الهندسية في إنشائه وتصميمه ومدى الخدمات المتوفرة في المسكن ونوعية الأشكال سواء ملك أو إيجار ، ولكننا إذ نتكلم عن أنواع المساكن الحضرية التي مهما واجهت من مشاكل فإنها يجب أن تكون بذلك المستوى الذي يمكنها من أداء دورها في تحقيق الأغراض الإنسانية التي استعملت الدار من أجلها وقدرتها على تقديم الخدمات المادية والمعنوية للساكنين.

أنواع المساكن الحضرية حسب تصميمها وطرازها المعمارية

منذ مطلع القرن الماضي وبالتحديد نهائية العشرينات منه حيث برزت المسألة التخطيطية لتحدد اتجاهات وأنماط الوحدات الوظيفية في المدينة ظهرت اتجاهات عديدة للتكوينات المعمارية للمناطق السكينة بشكل خاص ففي بداية الثلاثينات كان المتحمسون للاتجاه العقلاني في تصميم الوحدات والمجمعات السكنية يركزون في تصاميمهم على متطلبات العزل بين المباني السكنية ومجاوراتها من أجل سهولة تنظيم وتخطيط المواقع وكانت التكوينات الهندسية الجميلة والأشياء البسيطة المتكررة والمنتظمة هي الصفة السائدة في جميع أنماط المباني السكنية ومع مرور الوقت ظهرت سلبيات مثل هذه الحلول عندما فقدت هذه التصاميم نكهتها الحسية بسبب شيوعها المفرط وتكرارها الشديد إضافة إلى حالة التلوث البصري والبيئي الذي يمكن أن تحدث إطالة المباني على الشوارع العامة حيث كانت أغلب المواقع السكنية عليها. أما في الأربعينات والخمسينات فقد تم الابتعاد عن التكوينات المعمارية المتكررة وظهر اتجاه ينادي (بالأهمية الوظيفية) لمعالجة مشكلة الأداء الوظيفي لأجزاء الوحدة السكنية التي أصبح الإيقاع والتناظر في حجومها ووحدتها أكثر تعقيدا في تكويناته المعمارية وعناصره الإنشائية حيث زاد الاهتمام باعتماد الفضاءات الداخلية بل أن تقييم المباني السكنية صار يخضع إلى عدة مقاييس وظيفية منها علاقة المباني مع البيئة وحجم المنازل والشقق وعمق الغرف بما يحقق راحة الساكنين لذا سميت تصاميم هذه المرحلة بتصاميم (الوظيفة الإنشائية) التي ساد انتشارها في كثير من تصاميم الأحياء والمجمعات السكنية وخاصة في مدن الغرب ولكن ظلت هذه التصاميم تحمل صفة التكرار الممل مما حمل كثير. الأصوات التصميمية بالمناداة بتصاميم تحقق (جمال الطبيعة) من خلال جعل المباني السكنية تتداخل مع الطبيعة المجاورة لتضفي جمالا واقعيا كأن تتداخل فضاءات الساحات المكشوفة الخضراء مع الأبنية السكنية عبر مماش للسابلة ولذلك برزت المباني وكأنها بدون أشكال هندسية بل تم إعداد تصاميم للوحدات السكنية والمباني السكنية لتعطي أشكالا غير طبيعية من خلال اعتماد الإلتواءات والمنحنيات وأشكالا غير مألوفة لتحقيق قيمة جمالية تصل إلى درجة

الرومانسية حتى وإن كانت على حساب الأداء الوظيفي وكان ذلك بعد الستينات فيما مضى اتجاه معماري آخر بتصاميمه لخلق حجوم كبيرة في المباني السكنية من خلال تصاميم للوحدات السكنية تجعلها بأشكال متعاكسة مرتفعة وأخرى وأخرى منخفضة لخلق فيها معالم وشواخص ذات تأثير بصري وجمالي واضح مما يشير إلى الاهتمام بالجمال الشكلي والطبيعي في تصميم الوحدات والمباني السكنية ورغم أن فترة التسعينات وما تلاها لم تهمل الاتجاه الجمالي في تصميم الوحدات السكنية إلا أن مشكلة الأداء الوظيفي لها وعبر جميع أجزائها عادت إلى أذهان المصممين حتى وإن كان على حساب عناصر المفاخرة بالمظاهر الجمالية والحجمية من أجل تحقيق جملة من الأهداف هي:

أ- الإقلال من حجم التكاليف الاقتصادية التي يمكن أن تجمد في بناء الوحدة السكنية.

ب- إحلال العلاقات التامة بين أجزاء السكن الواحد وبين ممارسة النشاطات العائلية فيه.

ت- تحقيق جودة في الأداء الوظيفي لأجزاء المسكن كالعزل الحراري والضوئي وسهولة الحركة وتقليل الآثار السلبية التي تتركها الهياكل والكتل المعمارية الجمالية.

إلا أن هذا الاتجاه لم يزيح باقي التصاميم التي خلفتها الأفكار والاتجاهات السابقة لذلك يمكن القول أن الوحدات السكنية عبر أنماطها ومجمعاتها توجد اليوم على أنواع تصميمية هي:

1- **سكن ذو نمط تصميمي يحقق الوظيفة الإنشائية** ، وهو ذلك النمط من التصاميم الذي ظهر في الثلاثينيات من القرن الماضي ومن أهم مميزاته الابتعاد عن الصلابة والجودة في تصميم ألوان السكنية.

2- **سكن ذو نمط تصميمي يحقق الوظيفة الجمالية** ، وهو ذلك النمط من التصاميم التي ظهرت في المساكن لتعطي للساكنين فرصة لممارسة الحياة الخارجية ضمن نفس الوحدة السكنية وذلك من خلال جعل الحدائق ضمن تصميم المترل لتمثل وسيلة لقضاء بعض الوقت والتسلية عبر الجلوس فيها أو تنظيمها. أما ضمن الأحياء السكنية فقد ظهرت

القيم الجمالية من خلال المحافظة على الخطوط الكنتورية للارتفاعات الطبيعية للأرض بقدر الإمكان مع ما تحويه من أشجار ومظاهر طبيعية ولذلك تقلصت الشوارع عبرها.

3- **سكن ذو نمط رومانسي** ، وهو ذلك النمط من التصاميم الذي غزى الوحدة السكنية وأحياؤها والذي أخذت الاعتبارات الجمالية وزنا كبيرا فيها وجاء هذا النمط كرد فعل ضد تصاميم الوحدات والأحياء السكنية التقليدية التي تتصف بطابع التكرار والتفصيلات ذات الشعور الثقيل والممل الذي ساد فترة الثلاثينات وقد ظهرت هذه التصاميم في فترة الخمسينات وكوسيلة فعالة في إظهار الوظيفة الجمالية.

4- **سكن ذو نمط تصميم يمثل الشواخص المعمارية** ، وهو ذلك النمط في تصاميم الوحدات والأحياء السكنية الذي ظهر في الستينات لخلق الاستقلالية في الشكل الحضري للوحدة والمجمعات السكنية من خلال التركيز على الناحية الجمالية وذلك بجعل مبانيها في ارتفاعات كبيرة والإعتماد على الشواخص والمحاور في التكوين العام للتصميم.

5- **سكن ذو نمط تصميمي يحقق الاستقلالية** ، وهو ذلك النمط من التصاميم الذي يوفر في كل دار سكنية حديقة أمامية معزولة بسياج عن الطريق وحديقة خلفية محاطة بجدار الدار ليعطيها استقلالية تامة بينما صار بناء الدار في الوسط والدار الواحدة مكونة من ثلاث طوابق على الأغلب ويضم الطابق الأعلى شرفات الدار وتتمتع مثل تلك الدورة بميزة جمال الموقع لتأتي حدائقه مكملة لهذا المجال المستقل الذي يحيط الدار ومثل تلك التصاميم هي التي سادت ولا زالت تسود مساكن المدن العربية.

6- **مساكن ذات التصاميم التقليدية** ، وهو ذلك النمط من التصاميم الذي يسود الدور السكنية في المناطق القديمة والمركزية في المدن العربية ومثلها في كثير من المدن العالمية والذي فيه يتم الحرص على إعطاء الوحدة والحي السكني ذلك التماسك الذي عبر عنه

أصطفاف الوحدات السكنية بشكل غير منفصل وتكون الدار من عدة غرف تنتظم حول باحة وسطية بالنسبة للطابق الأرضي والرواق بالنسبة للطابق الثاني مع احتواء الوحدة السكنية على أغلب الفضاءات التي تشمل الاستعمالات المختلفة ، ونظرا لأن تلك التصاميم لا زالت تمثل واقع مساكن مدننا العربية لذا يمكن وصف أحجام تلك التصاميم بما يأتي:

أ- **السكن الواسع:** وصف ذلك النوع من المسكن الذي يضم عدد كبير من العوائل أو الأسر التي تربطهم صلة القرابة.

ب- **السكن الكبير:** وهو ذلك النوع من السكن الذي يكون فيه عدد الأشخاص ما بين 8-9 أفراد.

ت- **السكن المتوسط:** وهو ذلك النوع من السكن الذي يكون فيه عدد الأشخاص ما بين 4-5 أفراد وتمثل في السكن المستقل.

ث- **السكن الصغير:** والذي يتمثل في غرفة واحدة يسكنها شخص واحد أو شخصان ، وغالبا ما يوجد هذا النوع في العمارات.

7- **المساكن ذات التصاميم غير التقليدية** : وفي ذلك النمط من التصاميم للدور السكنية خرج المصمم على التقاليد المألوفة في تصميم الوحدات والمجمعات السكنية مع التركيز على العزل التام بين مرور المركبات والسابلة وفيما عدا ذلك فإن المصمم ترك له الخيار في تصميم كل وحدة وبالشكل الذي لا يتعارض مع المبادئ الأساسية للحفاظ على الكفاءة الأدائية والجمالية للوحدة السكنية وفي ذلك مرونة مطلقة لخلق مثل تلك النواحي إضافة إلى إمكانية ضم كل الإبداعات الحضارية.